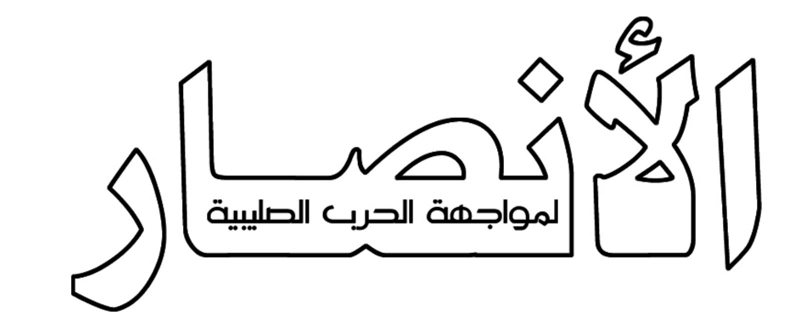


مجلة إلكترونية نصف شهرية
إسلامية – متكاملة – مستقلة

العدد الثامن والعشرون/ فاتح صفر الخير 1424 هـ / 03 – 04 - 2003

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾

محتويات العدد

البريد الإلكتروني : al-ansar0@mailcity.com



أمريكا في الفخ الإسلامي

نحن الآن على مشارف الأسبوع الثالث من العدوان الصليبي على العراق، وإلى الآن يمكن القول أن القوات الغازية لم تحقق أهدافها المسطرة، لا الاستراتيجية ولا حتى التكتيكية، بل على العكس يتحدث المراقبون عن بوادر الفشل "الأنجلو أمريكي" في العراق، خاصة أن المقاومة استطاعت تكبيد العدو خسائر كبيرة على المستوى المادي والمعنوي، وهي خسائر مرجحة للتفاقم كلما طالت مدة الحرب، مما يعني أن أمريكا تخضع الآن لعملية استنزاف "ممتازة" تضاف إلى ما تلاقيه في أفغانستان، وهذه واحدة.

أما الثانية فهي دخول الحركة الإسلامية على الخط في هذه الحرب، لأن العراق بما يحمله من الدلالات التاريخية ذات الوزن الثقيل في الذاكرة الإسلامية قد دفعت بالآلاف من "الإسلاميين" إلى الجهاد، ليس حبا في النظام العراقي ولكن دفاعا عن بلاد ودماء وأعراض وأموال المسلمين، ولو أننا حكّمنا واقع الأنظمة عند النظر في مسألة الدفاع عن ديار المسلمين فإننا سنضطر إلى ترك الدفاع عن مكة والمدينة، إذ أن حال الأنظمة من حيث التوصيف الشرعي واحدة، فالجميع كما هو معلوم " في الهوى (الردة) سوى"، ودكتاتورية "آل سلول" – خاصة هذه الأيام – ليست أقل ظلما من دكتاتورية صدام.

وكما هي العادة دائما تجري الآن محاولة "أسلمة" المقاومة العراقية، خاصة على المستوى الشعبي، تماما كما وقع في أفغانستان والشيشان، إذ أن تقاطع المصالح سيدفع بالنظام العراقي إلى المزيد من المرونة تجاه الخط الإسلامي، وبالتالي إتاحة الفرصة لـ"أفغنة" العراق، خاصة في ظل المعطيات الميدانية التي تسهل عملية التواصل وتبشر بإمكانية الوصول إلى الهدف بسرعة أكبر، على الأقل لأن حاجز اللغة غير موجود. وهذا بالضبط ما تخشاه أمريكا، لأنها ستكون قد سقطت في مواجهة إشكالية المقاومة الإسلامية، التي تُعرف بالقدرة العالية على الصمود والاستبسال في القتال، وهو ما يوجع أمريكا لأنها جربته في أفغانستان، ولازالت تعاني منه إلى الآن.

فإذا أضيف إلى هذا كله أن هناك المقاومة الإسلامية الكردية في الشمال (أنصار الإسلام)، وهي متمركزة في مناطق حصينة، فإنها سوف تكون ثالثة الأثافي للإدارة الأمريكية، لأن المسألة تعني أن العدو أمام مقاومة شرسة ومتعددة المواقع، يرى المراقبون أنها قد شتتت جهده الحربي في أكثر من مكان، وأيقظت لمواجهته أكثر من طرف، وهو – طبعا – ما يصب في مصلحة الخط الجهادي، ويبشر باقتراب لحظة النهاية لأمريكا.

باختصار لقد وقعت أمريكا في الفخ، وأوقعت معها الأنظمة العميلة لها في المنطقة، ونحن الآن على أبواب فصل جديد من المعركة، لأنه حتى في حال سقوط النظام العراقي، فإن أرض العراق بما يوجد عليها من المقاومة الإسلامية سوف تستعيد ذكريات المجد الراسخ في تاريخها، فتصيح قائلة: من أرض هارون الرشيد إلى كلب الروم: الجواب ما ترى لا ما تسمع.

التحرير

الحرب الصليبية والتحولات الفكرية
- 2 -

سيف الدين الأنصاري

في الحلقة السابقة تكلمنا عن فشل النظرية الجاهلية للسلام العالمي، كإحدى أهم التحولات الفكرية التي أفرزها الحرب الصليبية المعاصرة. وفي هذه الحلقة نطرح:

ثانياً: إفلاس مذهب "الجبرية السياسية".

مذهب "الجبرية" قائم على نفي حقيقة الفعل عن العبد، وبالأخص جانب الإرادة، أي أن العبد مجبور على أفعاله، فالإيمان بالقدر عند هؤلاء معناه إلغاء مسؤولية الإنسان عن فعله، لأنه لا حيلة ولا دخل له في وقوعه!! هــذه واحدة، أما الثانية فهي أنهم رتبوا على هذا التصور الخاطئ ضرورة الرضا بالواقع السيئ إلى الحد الذي يَمنع من مغالبته أو السعي في دفعه، لأنه قدر الله!! فصار الإيمان بالقدر عند "الجبرية" يعني أمرين اثنين، أولهما إلغاء مسؤولية الإنسان عن أفعاله، وثانيهما ترك مغالبة الواقع السيئ.

وطــبعا ما هذه المغالطات الفكرية إلاّ محاولة للتملص من التكليف، أراد أصحابها أن تمرر عن طريق تزوير الحقيقة، مع لمسة من التمنطق في المعالجة للإيحاء بعقلانية الطرح، تماما كما فعل المشركون في عهد البعثة، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾[الأنعام: 148]. أي أنهم يتعللون بالقدر لتبرير الوقوع في المعصية، وهي مغالطة مقيتة، الهدف منها نفي المسؤولية عن الفعل للخروج من دائرة المحاسبة.

لسنا هنا بصدد الرد على هذه البدعة، فقد لاقت "الجبرية" مقاومة شرسة على امتداد التاريخ، شنها عليها علماء أهــل الســنة منذ البوادر الأولى لنشأتها، خاصة في شقها العقدي وآثارها الأخلاقية، حيث بينوا للناس أن الإيمان بالقدر لا يلغي إرادة الإنسان ولا يعفيه من تحمل مسؤولية أفعاله[1]، الأمر الذي سد منابع الفساد التي كانت تريد أن تتخذ من "الجبرية" غطاء للانحلال الاجتماعي، وساهم بالتالي في تحصين الأمة لمدة طويلة من الزمن.

لكــنْ رغم كل المقاومة الفكرية التي تعرضت لها "الجبرية" فقد استطاع هذا فيروس أن يحافظ على نفسه، خاصــة في المجال السياسي، حيث أوقر في الأذهان أنه لا دخل لإرادة الإنسان في إيجاد الأنظمة الحاكمة، لأنها قــدر الله!! بــل ولا ينبغي للإنسان العمل على تغييرها حتى وإن كانت فاسدة، لأنها قدر الله!! والمهم تحتَ

---

1 – لتوضيح الموضوع راجع "مفاهيم ينبغي أن تصحح" للأستاذ محمد قطب.

مســـمى الإيمان بقدر الله كانت تجري محاولات هادفة إلى أمرين اثنين، أولهما استبعاد المسلم من دائرة الفعل السياســـي، وثانيهما غرس عقلية الارتهان بالأنظمة الحاكمة، بحيث يلزم الإنسان دائرتها مهما بلغته من التعفن السياســـي، لأنها قدر الله!! فكانت النتيجة إذن أن "الجبرية السياسية" حولت أكثر المسلمين إلى أناس يعتقدون أنهم "مسيرون" سياسيا.

وقد ساعد على انتشار هذه البدعة أن الدول كانت تسخر إمكانياتها الإعلامية في الترويج لها، حتى تمكنت من التغلغل في الأعماق الفكرية والنفسية لكثير من أبناء المجتمع الإسلامي، وصارت عرفا عاما يصعب مخالفته. هـــذا إضـــافة إلى أن محبي السلامة وجدوا فيها فكرة رائعة، لأنها تعفيهم من المسؤولية السياسية، وتريحهم من "المشـــاكل" الـــتي يستدعيها السير في اتجاه مغالبة الأنظمة الفاسدة، الأمر الذي جعلهم يتقبلونها ويدينون بها، خاصة أنها كانت تلتقي ببعض الإنتاج الفكري "لفقهاء التغلب" الذين تساهلوا في تفعيل الثوابت السياسية عند تعاملهم مع الواقع، حيث توسعوا في تبرير الاستثناء حتى غدا كأنه الأصل. الأمر الذي شوش على الرؤية وأثر سلبا على الفكر والواقع السياسي للمسلمين.

المهـــم، في النهاية انتشرت "الجبرية السياسية"، ونمت وعششت وفرخت في فكر المسلمين، حتى هيمنت على الخلفية الفكرية للجماهير وللنخبة على السواء، وهي اليوم مـــن أخطر الآفات التي تؤثر على أداء الحركة الإسلامية العاملـــة في اتجـــاه التغيير، لأنها تكبل الكثير من طاقاتها المخلصـــة، وتحصـــرها في الدائرة الضيقة، الدائرة التي لا تتجاوز إرادة الأنظمة، ولا تتحرك بعيدا عن إطارها، مع ملاحظـــة أن هناك اختلافا بين الماضي والحاضر، لأنه إذا كانـــت "الجبرية" القديمة قد روّجت لعدم الخروج على الحـــاكم الظالم المستبد، فإن الجبرية المعاصرة تروج لعدم الخـــروج عـــلى الحـــاكم الكافر العميل، وكأن الإرث التاريخي لعقلية الجبر السياسي قد أركز في روع المسلمين تفضـــيل الارتباط ببيت الطاعة على المغامرة خارجه حتى ولو كان هذا البيت لأنظمة مصرحة بالعمالة على الملأ!!.

- إذا كانت "الجبرية" القديمة قد روّجت لعدم الخروج على الحاكم الظالم المستبد، فإن الجبرية المعاصرة تروج لعدم الخروج على الحاكم الكافر العميل، وكأن الإرث التاريخي لعقلية الجبر السياسي قد أركز في روع المسلمين تفضيل الارتباط ببيت الطاعة على المغامرة خارجه حتى ولو كان هذا البيت لأنظمة مصرحة بالعمالة على الملأ!!...

والـــيوم وبفعـــل هـــذه الأفكار المكبلة للإرادة غابت المعالجة التي تتعامل مع الواقع بالجدية المطلوبة، حيث انتشرت ظاهرة "البكاء على الأطلال" في التعامل مع الواقع، وتخلى البعض عن الاستجابة لاستحقاقات المرحلة

تحـــت عنوان فن الممكن، والذي يعني في عرف "الجبرية السياسية" فن المأذون به، لأن الارتهان بإرادة الأنظمة ضـــيق أفقهـــا الحركي وأدخلها في إشكالية مساحة الفعل، وهكذا تراكمت مفردات الإعاقة الذاتية وأخذت طـــريقها في اتجاه تكثيف عناصر الأزمة، فكانت النتيجة هي الإفلاس في الأداء السياسي، إذ يبدو التعاطي مع الوضع الراهن هزيلا إلى أبعد الحدود.

الحملـــة الصليبية المعاصرة تستهدف كل شيء في أمتنا الإسلامية، بما في ذلك التاريخ والجغرافيا، ومشاهد العـــدوان على هويتنا وحضارتنا ودمائنا وأعراضنا حركت الإنسانية في أقصى بقاع الأرض، ومع ذلك يوجد من لازال متحرجا في العمل خارج دائرة "أولياء الأمور"، خوفا من الفتنة النائمة التي لا يحب الله من يوقظها، أي خوفا من المشاكل التي يجلبها الخروج من بيت الطاعة. وهو ما يلزم عنه على المستوى العملي ترك مجاهدة العدو الأجنبي الذي يغزو بلادنا ويعتدي على كرامتنا لا لشيء إلاّ لأن حكامنا الذين يوالون أعداءنا لم يأذنوا لنا بجهادهم!!

وفي خطـــوة تعبر بجلاء عن ضيق مساحة الفعل عند أصحاب "الجـــبرية السياسية" يتحرك البعض للدفاع عن العراق بإرسال المتطوعين ليكونوا كدروع بشرية!! انتبه، دروع بشرية وليسوا مجاهدين، لأن الجهاد لم تأذن به الحكومة.. وأرى أنه من حقك الآن أن تتســـاءل: هل هذه حركة إسلامية أم حزب "الخضر"؟ أيـــن شعار "والجهاد طريقنا"؟ أين شعار "والموت في سبيل الله أسمى أمانينا"؟! بصراحة: لقد تبخر كل شيء تحت تأثير مسلسل التنازلات التي تفرضها "الجبرية السياسية"، ولقد ماتت الشعارات يوم اعتُرف بشرعية الحكومات الطاغوتية العميلة.

• وفي خطوة تعبر بجلاء عن ضيق مساحة الفعل عند أصحاب "الجبرية السياسية" يتحرك البعض للدفاع عن العراق بإرسال المتطوعين ليكونوا كدروع بشرية!! انتبه، دروع بشرية وليسوا مجاهدين، لأن الجهاد لم تأذن به الحكومة.. وأرى أنه من حقك الآن أن تتساءل: هل هذه حركة إسلامية أم حزب "الخضر"؟

عـــلى أيٍ، كل هذه الممارسات الهروبية تسجلها الأمة اليوم ضد بدعة الجبر، وأرى أننا نعيش إرهاصات المرحلة التي تتجاوز فـــيها أمتنا الإسلامية المجيدة هذا المذهب الذي طالما عمل على تخدير وعـــيها بالعقـــاقير المسكنة، خاصة أن أحداث الحرب الصـــليبية جعلت الأمة تعي أن المشكلة الأولى التي تعترض طريق صراعها مع العدو الأجنبي هي هؤلاء الحكام الجاثمين على صدرها، لأنهم هم الذين يمنعونها من أداء دورها في مواجهة الغزو الصليبي، وهم الذين يسخرون أجهـــزتهم الأمنـــية والعسكرية للدفاع عن الصليبيين، وهم الذين يعملون على قتل وسجن وتعذيب المجاهدين للعدوان الصليبي، مما أوجد رغبة جامحة في العمل على إزالة — أو على الأقل تجاوز — هذا الحاجز الذي يحول

بــين الأمــة وأدائهــا لواجبها الديني، أي أننا أمام لحظة بدأ ينتعش فيها الشعور بالمسؤولية عن تغيير الوضع السياسي، لأنه أساس الأزمة ولب المشكلة التي ترزح أمتنا تحت وطأتها في المرحلة الراهنة.

• فـإن الحـركة الـتي تكـبل نفسـها بـ"الجـبرية السياسـية"، بحيث تحصر نفسها في داخل الإطار المأذون به، ولا تـريد أن تـتحرر لترفـع من سقف أدائها السياسي، سوف تعرض نفسـها لمسألة التجاوز والالتحاق بدفـتر التاريخ، لأن المرحلة تتطلب ما هو أكـبر مـن المسـيرات المقنـنة ومذكرات الاحتجاج...

ومن هنا فإن الحركة التي تكبل نفسها بــ"الجبرية السياسية"، بحيــث تحصـــر نفسها في داخل الإطار المأذون به، ولا تريد أن تـــتحرر لترفع من سقف أدائها السياسي، سوف تعرض نفسها لمسألة التجاوز والالتحاق بدفتر التاريخ، لأن المرحلة تتطلب ما هـــو أكـــبر مــــن المسيرات المقننة ومذكرات الاحتجاج، فهذه الممارســـات رغم أهميتها لم تعد تشكل على المستوى العملي إلاّ ما تشكله الصيحات الخافتة في الوادي السحيق.

ونفس الأمر سينطبق على العلماء الذين يتخلفون عن ركب الجهاد، فإنهم سيُتجاوزون كذلك، لا لأن الأمة قد تمردت على العلماء، ولكن لأنها ترفض أن تكون أسيرة سلطة الكهنوت، وما شـــأني أنـــا بهذا العالم الذي آثر العقود في وقت تقتل فيه الأمة وتذبّـــح، إنمـــا طلب منا الله تعظيم العلماء لأنهم ينيرون الطريق للأمـــة ويتقدمون الصفوف في وقت الأزمات، أما عندما يصبح العـــلماء عبارة عن هيئة لممارسة السحر (تزييف الحقيقة)، وبوقا لتثبيط الأمة عن أداء دورها في الدفاع عن دينها وأرضها وشرفها، فإن من واجبنا أن نقول لهم: اسمحوا لنا يا شيوخنا الكرام فليس في ديننا كهنوت، ولا نريد أن ندخل تحت قول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة:31].

بـــل حتى تلك الفتوى الباردة التي تطبخ في الدوائر الرسمية أو قريبا منها لم تعد مقبولة في أوساط المسلمين، لأنهـــا لا تطرح الحقيقة كما هي، وإنما تحاول أن تلفق من هنا ومن هناك لتخرج برؤى غريـــبة أقل ما يقال عنها أنها متناقضة، أو مصابة بداء "الانفصام الفكري"، مما يجعلها تدخل المسلم فيما يشبه دائرة المغلقة، حيث جهـــاد العـــدو الصليبي واجب وفرض عين، لكن الخروج عن الأنظمة الحاكمة لا يجوز!! مع العلم أن تنفيذ الجهـــاد متوقف على نبذ طاعة الأنظمة الحاكمة، إذ أنها هي الحامية لمصالح الصليبيين. أي أننا في النهاية أمام "خلطة فكرية"، تكون فيها الفتوى فارغة من بعدها العملي، لأنها مكبلة بأفكار "الجبرية السياسية"، مما يجعلها تؤدي دور التضليل الديني رغم ما قد تجلبه من المصالح المؤقتة!!



• كيف نطبق الفتوى القائلة بوجوب جهاد الصليبيين إذا لم نخرج على سلطة النظام المصري مثلا؟ فالسفن والغواصات الحربية التي تطلق صواريخ "كروز" و"توماهوك" على المسلمين في العراق إنما تمر عبر قناة السويس، بل إن الكثير من الأطعمة التي يقتات بها جنود الصليب إنما تخرج من أرض الكنانة.

كيف نطبق الفتوى القائلة بوجوب جهاد الصليبيين إذا لم نخرج على سلطة النظام المصري مثلا؟ فالسفن والغواصات الحربية التي تطلق صواريخ "كروز" و"توماهوك" على المسلمين في العراق إنما تمر عبر قناة السويس، بل إن الكثير من الأطعمة التي يقتات بها جنود الصليب إنما تخرج من أرض الكنانة. وهذا مجرد مثال واحد، وإلاّ فالأمثلة الأخرى معروفة، فطائرات العدوان تنطلق من بلاد الحرمين، والقيادة في "قطر"، فلماذا لا نكون صرحاء ونفتي بوجوب الخروج على هؤلاء الطواغيت، أولاً لأنهم فاقدين للشرعية الدينية وحتى الدستورية، وثانيا لنتيح للمسلم المجاهد المساحة الحقيقة للفعل، والتي بغيرها سيدخل في إشكالية التناقض الديني.

لقد سئمت الجماهير المسلمة من أفكار "الجبرية السياسية"، لأنها صارت بمثابة العقاقير المسكنة التي لا تعالج المرض، وإنما تخدر الإنسان لتمنع عنه الإحساس بوجوده، حتى إذا زال مفعول العقاقير وتعافى الوعي من أثر المخدرات الفكرية أدرك الإنسان أن الداء لازال موجودا، وربما يكون قد تفاقم!! وهكذا تتكرر العملية في أكثر من صورة، لتجد الأمة نفسها في الأخير أنه قد حيل بينها وبين النهضة الإسلامية بفعل أفكار التنويم التي كرست في الماضي واقع الاستبداد السياسي، وهاهي اليوم تحاول أن تكرس ما هو أدهى وأمر، الاستبداد والكفر والظلم.

وخلاصة الحديث أن الأحداث التي صاحبت الحرب الصليبية المعاصرة قد فرضت تطورات خطيرة، ضاقت معها مساحة المنطقة الرمادية، إذ لم يعد هناك مجال واسع للنفاق الفكري، فسياسة التلفيق والتنميق أصبحت معروفة عند الجماهير المسلمة فضلا عن النخبة المثقفة، والأمة الآن تعيش مرحلة انتقالية حاسمة، تتطلب من الحركة الإسلامية بمختلف فصائلها أن تكون على مستوى عال من الجدية في التعامل مع الوضع، لتثبت بالدليل العملي ومن خلال قرارات جريئة وشجاعة أنها أهل لقيادة الأمة في الحرب والسلم، وأنها فاعل حقيقي في ساحة السياسية للأمة، ليست مجرد هامش على متن النظام الطاغوتي، وإلاّ فإنها سوف تتجاوز، لأن الأمة قد ملّت كثرة الوعظ النظري وهي الآن تريد من يتقدم الصفوف في جهاد لا يرضى بالارتهان للأنظمة الطاغوتية الفاشلة. ♦

معركة الصمود العراقي

أبو عبيد القرشي

تحية إلى الشعب العراقي الشامخ.. تحية إلى كل الجنود والمجاهدين البواسل على أرض العراق.. تحية إلى كل المساهمين في المجهود الحربي من العشائر والأهالي.. تحية مباركة طيبة.

لقد أعطبتم أيها الشجعان آلة الحرب الأمريكية وأجبرتموها على الذهاب للورشة الميكانيكية لتلقي الإصلاح، وقد كنا ولا زلنا على يقين أنكم تستطيعون بإذن الله أن تُلحِقوا بالغ الأذى بهذه الآلة الجبروتية، وتُسهِموا بنصيب وافر في إيصالها للمكان اللائق بها، ألا وهو مزبلة التاريخ.

والحمد لله بعد مرور أكثر من عشرة أيام على بداية الحملة الصليبية على العراق هناك بوادر كثيرة للنصر، ويجدر الاهتمام بهذه البوادر وتنميتها للاحتفاظ بالمبادرة، كما ظهرت بعض المخاطر التي ينبغي التصدي لها قبل أن تستفحل ويستغلها الصليبيون.

1 - بوادر التفوق العراقي

مع استعار الحملة الصليبية على بلاد العراق، هناك قرائن عديدة على وجود تأييد رباني كبير للشعب العراقي المسلم، ومن بين هذه القرائن:

أ – ذكاء الاستراتيجية العراقية

خلافا للمعتاد حين تتكلس القدرات الذهنية للأنظمة، وتتخندق قياداتها في اعتبارات إيديولوجية وهمية لا قيمة لها على الصعيد العسكري، فاجأ النظام العراقي العالم أجمع بتبنيه لاستراتيجية واقعية تقضي باستغلال طبيعة الأرض والإمكانات الدفاعية التي توفرها، بينما تجبر العدو على تلقي أكبر قدر ممكن من الخسائر البشرية والمادية في صفوف قواته الغازية.

إن الخيار الاستراتيجي بالقتال داخل المدن هو أفضل خيار ممكن أمام الجيش العراقي، الذي لا شك وأنه اطلع على النظريات الخاصة بحروب الجيل الرابع[1]، وهي نظريات أمريكية بالأساس تبين أن أكبر تحدٍّ يواجه

1 – انظر مقال "حروب الجيل الرابع" للكاتب.

الجيش الأمريكي في العالم الإسلامي هو حرب المدن. لكن العراقيين لم يكتفوا بالاستفادة من هذه النظريات القائمة وحسب، بل طوروها لتشمل – لأول مرة في التاريخ – تركيبا من جيوش نظامية تقاتل داخل المدن، وتشكيلات غير نظامية تعرقل القوات الغازية في كل مكان، وهذه عقلية ابتكارية يجدر التنويه بها.

ومع أن الأمريكيين تنبهوا إلى خطورة الحروب داخل المدن منذ تجربة الجيش الأمريكي في معركة (Hue) في فيتنام سنة 1968 ثم تجارب الجيش الصهيوني في السويس 1973 ثم في لبنان، ثم زادت معارك الأمريكيين في مقديشو سنة 1993 ثم الروس في غروزني سنة 1994 من توطيد هذه المخاوف لدى القيادات الأمريكية، إلا أن القوات الأمريكية لا زالت دون المستوى لمواجهة هذا النوع من الحروب. وقد لخص ضابط أمريكي موقف الجيش الأمريكي تجاه حرب المدن "أن الكل يدري أهميتها لكننا كالأطفال الذين لا يريدون ارتداء الملابس للذهاب للمدرسة رغم معرفتهم بضرورتها"[1].

ومن المعروف أن القتال داخل المدن يتطلب بالنسبة للمهاجمين الكثير من الجنود، بل ويتطلب كثافة عسكرية كبرى في كل الميدان، إضافة إلى أن هذا القتال يضطر المهاجمين لتفريق قواهم إلى مجموعات صغيرة، ويُفقِد للتفوق التكنولوجي معناه، ويُكثِر من الإصابات في صفوف الغزاة، ويُغيِّر الاعتبارات التقليدية للنصر والهزيمة[2]. والتاريخ يعضض نجاعة هذا الأسلوب، فالقوات السوفييتية المدافعة عن ستالينغراد خلال الحرب العالمية الثانية تكبدت ما يعادل 5100 قتيل وجريح يوميا، بينما تكبدت ذات القوات ما يعادل 15300 قتيل وجريح يوميا خلال الهجوم على برلين[3]، وهو ما يبين أن الخسائر في صفوف الغزاة ستكون إن شاء الله ضخمة.

• ومن المعروف أن القتال داخل المدن يتطلب بالنسبة للمهاجمين الكثير من الجنود، بل ويتطلب كثافة عسكرية كبرى في كل الميدان، إضافة إلى أن هذا القتال يضطر المهاجمين لتفريق قواتهم إلى مجموعات صغيرة، ويُفقِد للتفوق التكنولوجي معناه، ويُكثِر من الإصابات في صفوف الغزاة، ويُغيِّر الاعتبارات التقليدية للنصر والهزيمة.

قد تكون هذه الاحصاءات قديمة شيئا ما لأنها تتعلق بالحرب العالمية الثانية، لكن الحاضر يبين أن خطورة خوض قتال من هذا النوع لا زالت قائمة. فقد بينت التداريب الحديثة التي أجرتها قوات المارينز الأمريكية سنة 2001 أن

1 - Ralph Peters, “Heavy Peace,” Parameters, Vol. 29, No. 1, Spring 1999, pp. 71-79.

2 - Lieutenant Colonel T. R. Milton, “Urban Operations: Future War,” *Military Review*, Vol. 74, No. 2, February 1994, pp. 37-46.

3 - Krivosheev, *Soviet Casualties and Combat Losses in the Twentieth Century* (London, 1997)

مجموعة مشاة أمريكية قامت خلال المناورات بالسيطرة على مجموعة من المباني، دامت هذه المهمة 12 ساعة تكبد خلالها الماريتز ما بين 30 % و45 % من الخسائر، أي أن ما بين ثلث ونصف المجموعة أخلي من ساحة التداريب وهو معدل كبير جدا. بل يمكن القول أن هذا المعدل هو نفسه الذي يعتبره المنظرون نقطة اللاعودة فيما يخص الاستعداد القتالي للمجموعة، نظرا لأنها تفقد تلاحمها وترابطها العضوي[1].

ب – محدودية الاستراتيجية الأمريكية

لن نطيل في هذا الباب بعدما فَنَّدَ جمع من المختصين عبر وسائل الإعلام المختلفة الاستراتيجية الأمريكية الخرقاء، التي سطرها متصهينون منعهم الحقد الأعمى حتى عن توقع مقاومة محدودة، فمضوا يخططون لانتصارات وهمية أساسها الأحلام الوردية والأمنيات الجميلة.. لكن بفضل الله سبحانه خسؤوا وخسأت أحلامهم أمام واقع آخر، واقع الإباء والنخوة الذي منع أبناء الأمة من الرضوخ للغزاة مهما كانت أكاذيب هؤلاء وشعاراتهم الجوفاء. ويزيد من بيان خذلان الله للغزاة أن هؤلاء توفروا على كل ما يريدون من وسائل مادية ومعنوية (ميزانية تبلغ 200 مليار دولار قبل الانطلاق ثم 75 مليار إضافية بعد أسبوع الفشل الأول) ومع ذلك انقلب الغزاة خائبين إلى حدود الساعة.

وعموما يمكن القول أن المعارك القادمة ستزيد — إن شاء الله – من كشف عورة الأداء الأمريكي السيء وذلك للاعتبارات التالية:

– إن القيادة عن بعد لا تنفع إطلاقا بل تضر في حالة القتال داخل المدن. وهذا الأمر اكتشفه الجيشان السوفييتي والألماني خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك لصعوبة استشراف الوجهة التي يأخذها قتال الشوارع فمن المستحيل توجيه القتال من خلال قيادة الفرقة العسكرية، بله من خلال مستويات أعلى[2]، كما يحدث الآن مع الجيش الأمريكي الذي يقبع قادته بعيدا بآلاف الأميال عن جيوشهم.

• إن القيادة عن بعد لا تنفع إطلاقا بل تضر في حالة القتال داخل المدن. وهذا الأمر اكتشفه الجيشان السوفييتي والألماني خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك لصعوبة استشراف الوجهة التي يأخذها قتال الشوارع فمن المستحيل توجيه القتال من خلال قيادة الفرقة العسكرية، بله من خلال مستويات أعلى..

1 - James G. Taylor, *Force-on-Force Attrition Modeling*, Military Operations Research Society, January 1980, pp. 63-69

2 - Gerhard L. Weinberg: *Stalingrad and Berlin: Fighting in Urban Terrain*, Patterson School of Diplomacy, 2001.

– إن سوء القيادة ضرب أطنابه في البنـــتاغون حيث يخوض القادة العسكريون حربا وراء الكواليس ضد الفريق المدني الذي يترأس وزارة الدفاع وفي مقدمتهم رامسفيلد. وقد بدأت تصفية الحسابات تتسرب للصحافة كما حدث حين حمل كُلاًّ من الجنرال المتقاعد لورنس كورب (في مقابلة مع المحطة التلفزيونية MSNBC) والجنرال المتقاعد باري ماكافري Barry McCaffrey (في حديث مع Reuters) وزير الدفاع الأمريكي مسؤولية الأداء الهزيل للقوات الأمريكية، وقد خنس السفاح رامسفيلد بعد أن كان يزبد ويرعد يوميا على شاشات التلفزيون، وظهر بوضوح أن الخطط العسكرية التي وضعها الفريق المدني في وزارة الدفاع أقرب إلى سيناريو فيلم سينمائي، ولعل السقوط الشنيع لأمير الظلام أو دراكولا (كما يلقب في واشنطن) ريتشارد بيرل السيء الذكر، الذي سهر الليالي الطوال يخطط لسحق الشعوب الإسلامية، هو بداية خروج تصفية الحسابات هاته إلى العلن.

– إن هناك خلطا كبيرا على المستوى النظري عند الجيش الأمريكي فيما يخص مفهوم القتال داخل المدن. فالتنظيرات الأمريكية لا تميز بين القتال الكلي داخل المدن (full-scale urban warfare)، وعمليات محاربة العصيان داخل المدن Counterinsurgency، والعمليات العسكرية داخل المدن لمساعدة النظام المدني، رغم أن هناك بَوْنا شاسعا بين كل هذه العمليات، وهو التخبط الذي لاحظه العديد من المراقبين داخل المؤسسة العسكرية الأمريكية[1]، والذي سيُدفع ثمنه غاليا إن شاء الله.

• إن هناك خلطا كبيرا على المستوى النظري عند الجيش الأمريكي فيما يخص مفهوم القتال داخل المدن. فالتنظيرات الأمريكية لا تميز بين القتال الكلي داخل المدن (full-scale urban warfare)، وعمليات محاربة العصيان داخل المدن Counterinsurgency ، والعمليات العسكرية داخل المدن لمساعدة النظام المدني.

– إن التداريب الأمريكية غير مناسبة تماما للوضع الجديد، فخلافا للقوات البريطانية التي كانت تتدرب 3 شهور من أجل مهمة قتالية تدوم 4 شهور في إيرلندا الشمالية ومع ذلك ذاقت الأمرين، فإن الأمريكيين استهتروا إلى أقصى درجة بالعراقيين لدرجة أن أحد جنرالاتهم (Paul Van Riper) استقال لما شاهد سهولة التداريب التي خضع لها الجند سنة 2002[2]. وقد تأكد هذا

1 - Daryl G. Press, “Urban Warfare: Options, Problems, and the Future,” Conference Summary, MIT Security Studies Program, January 1999.
2 - "*War games rigged*?" Army Times. 21/08/02

الأمر بتصريح أحد القادة الأمريكيين الميدانيين (Lt. Gen. William S. Wallace)، الذي اعترف في حديث مع صحيفة واشنطن بوست (2003/03/28) أن القتال مع العراقيين يختلف تماما على ما تدربت عليه القوات الأمريكية.

ج – الأداء الإعلامي العراقي

لقد فاجأ العراقيون العالم أجمع بصدق لهجتهم وباعتمادهم الحقائق المرتكزة على الأدلة الساطعة والبراهين الواضحة، بينما كان الأداء الإعلامي الأمريكي إعلاما هابطا وبعيدا كل البعد عن الاحترافية، حتى أضحت القنوات الأمريكية أسوأ من قنوات العالم الثالث في الكذب والبهتان الذي لا أساس له من الصحة. وقد خالف الأمريكيون كل القواعد التي تحكم فن الدعاية، فقد أكثروا من الكذب الصراح الذي يُفَنِّدُه واقع الحال، ففطن العالم أجمع باللعبة الأمريكية التي كشفت نفسها بنفسها منذ الأسبوع الأول، وبات الجميع يعلم أن المعلومات الأمريكية مجرد هراء ولا مصداقية لها، ومن ثم لا ينبغي على الإطلاق الالتفات إليها. كما أن القرار العراقي باعتماد أكثر من 100 مراسل أجنبي في بغداد (عوض مراسل واحد لقناة CNN سنة 1991) كان له بالغ الأثر في تفنيد الكذب الصليبي مباشرة، وقد لعبت قناة الجزيرة أدوارا طلائعية في هذا الشأن..

والمهم أن العراق ربح الجولة الأولى من الحرب النفسية، وانهزمت أمريكا رغم أن عصابة البنتاغون خططت لجعل هذه الحرب الأولى في التاريخ من حيث كمية الصور المتوفرة ووصولها الفوري للمشاهد (وليس النوعية فتنبه!). لكن الرياح الربانية جرت بما لا تشتهي السفن الأمريكية، ولعل التاريخ يكتب قريبا أن إقحام المراسلين في الوحدات كان أكبر خطأ ارتكبه قادة البيت الأسود، بعدما تستمر الهزائم الأمريكية – إن شاء الله – ويتم توثيقها بأيدي الأمريكيين أنفسهم.

• والمهم أن العراق ربح الجولة الأولى من الحرب النفسية، وانهزمت أمريكا رغم أن عصابة البنتاغون خططت لجعل هذه الحرب الأولى في التاريخ من حيث كمية الصور المتوفرة ووصولها الفوري للمشاهد (وليس النوعية فتنبه!). لكن الرياح الربانية جرت بما لا تشتهي السفن الأمريكية.



د – وحدة الصف الداخلي العراقي

لقد كان الصف الداخلي العراقي نموذجا لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون من تلاحم أمام الغزو الصليبي. وقد ظهر بوضوح وجلاء أن الانقسامات التي يعيشها المسلمون هي أكبر سبب

لانتصار العدو عليهم. نسأل الله أن تستمر الأمور على هذا الحال وألا تنجح أمريكا أو بريطانيا في إيجاد ثغرة لتحقيق نجاح في هذا المضمار، وليعلم الجميع أن هذه حملة صليبية بمعنى الكلمة، ولن يسلم أحد من نارها إذا تمكن العدو الصليبي من الوصول لأهدافه.

هـ - فتح باب الجهاد والاستعانة بالعمليات الاستشهادية

لقد كان فتح باب الجهاد لجميع المتطوعين من شتى البلدان والاستعانة بالعمليات الاستشهادية بحق ضربة معلم من طرف العراقيين. فقد رَجَّ هذا القرار ثقة القوات الصليبية وأنزل معنوياتها إلى الحضيض، كيف لا وقد وُعِدت هذه القوات بأن الحرب ستكون عبارة عن نزهة، فإذا بها تتحول إلى كابوس مرعب لا هناء لصليبي بعدها في العراق أبدا. فوجود مجاهدين في العراق يعني أن القتال سيكون شرسا ضد أُسُود لا يهابون الموت بل يطلبونه أشد الطلب، كما أن العمليات الاستشهادية أعيت وأنهكت أشد الجيوش بأسا، فما بالك بالحثالة الصليبية التي لا تقاتل سوى من أجل حفنة من الدولارات. إضافة إلى أن العمليات الاستشهادية دقت إسفينا بين الصليبيين ومحاولتهم تدجين الأهالي، وذلك لأن الشك والريبة تجاه السكان لن يسمحا من الآن فصاعدا بإقامة مشاريع لغسل دماغ العراقيين، وهي المشاريع التي تعد جزءا لا يتجزأ من الاستراتيجية الصليبية لتثبيت استعمارهم للمنطقة.

2 - بعض الأخطار المحدقة وتدابير لمواجهتها

لا شك أن الأداء الحربي للعراقيين كان على أعلى مستوى طيلة الفترة الماضية، لكن العدو الصليبي لن يتردد كما هي عادته في استخدام أكثر الوسائل قذارة لتحقيق أي تقدم ينعش آماله الاستعمارية ويرفع الحالة المعنوية المتدهورة لقواته. ومن بين الأخطار المحدقة:

- **استهداف مخازن الماء والغذاء:** إن الصليبيين لن يتورعوا في استهداف هذه المخازن لتجويع الأهالي والمدافعين على المدن لإجبارهم على الاستسلام. ويبدو أن هذه الخطة بدأت بالفعل، فقد أعلن وزير الإعلام العراقي

• لا شك أن الأداء الحربي للعراقيين كان على أعلى مستوى طيلة الفترة الماضية، لكن العدو الصليبي لن يتردد كما هي عادته في استخدام أكثر الوسائل قذارة لتحقيق أي تقدم ينعش آماله الاستعمارية ويرفع الحالة المعنوية المتدهورة لقواته.

محمد سعيد الصحاف يوم السبت 2003/03/29 أن الدبابات البريطانية دمرت أيضا 75 ألف طن من الأغذية بما في ذلك حليب الأطفال والشاي والسكر في مدينة البصرة الجنوبية. ولهذا لا بد للعراقيين من تدارك هذا الأمر باعتماد لا مركزية كبيرة فيما يخص تخزين الماء والغذاء، واعتماد تدابير حماية بالغة التشدد في هذا الإطار، إضافة إلى جلب ما أمكن من الأغذية قبل اكتمال الطوق حول العاصمة، إذ أن الصليبيين رغم استعمالهم لوسائل القرن 21 إلا أن عقلية القرون الوسطى لا زالت تسيطر عليهم، وبناء على هذه العقلية الهمجية فإن تجويع المدن العراقية هو أقل شيء يمكنهم فعله.

– **اقتراف الصليبيين لمجازر وإلصاقها بالعراقيين:** لقد دأبت الآلة الدعائية الصليبية حتى قبل انطلاق الشق العسكري للحملة على العراق بإطلاق عدة بالونات اختبار دعائية، تدعي أن القوات العراقية ستقتل المواطنين العراقيين وتلصقها بالقوات الأمريكية، وأنها في هذا الصدد قد تستعمل السلاح الكيماوي، ثم ادعت خلال بداية الحملة العسكرية أن القوات العراقية اشترت لباس القوات الأمريكية والبريطانية لتقوم بقتل مواطنيها، ثم روج الصليبيون هذه الدعاية صراحة في البصرة حين قصفوا مدنيين وادعوا بأن القوات العراقية هي التي قامت بهذا لتحطيم "الانتفاضة الناشئة"... لكن وراء هذه الدعايات المتكررة تكمن رغبة صليبية حقيقية للفتك بالأهالي في العراق، ولذلك وجب التنبه لهذه المخططات والسعي لإفشالها عبر توزيع المراسلين المحايدين في كل المناطق التي قد تحدث فيها هذه الوحشية، وإذا تعذر هذا الأمر فبتوفير آلات تصوير في المناطق التي تسيطر عليها، وتخصيص أفراد لهذا العمل.

> ۞
>
> • **لقد دأبت الآلة الدعائية الصليبية حتى قبل انطلاق الشق العسكري للحملة على العراق بإطلاق عدة بالونات اختبار دعائية، تدعي أن القوات العراقية ستقتل المواطنين العراقيين وتلصقها بالقوات الأمريكية، وأنها في هذا الصدد قد تستعمل السلاح الكيماوي.**
>
> ۞

– **التعامل مع العملاء:** من المفارقات أن الاستخبارات الأمريكية كانت تطمح بحشد جيش من العملاء العراقيين ودفعهم للمعارك، لكن الحاصل أن هذه الأحلام تبخرت رغم صرف الخزينة الأمريكية رسميا 90 مليون دولار لهذا الغرض وإنشاء معسكــرات في جمهورية التشيك، إذ أن عدد المتخرجين من هذه

الــدورات – حسب بعض المصادر[1]– لم يتعد 21 من إجمالي 47 تقدموا بطلب الانضمام، وهو رقم ضعيف جدا وقطعا دون المخطط الأصلي الذي قضى بتجنيد 5000. رغم ذلك ينوي الصليبيون استخدام هؤلاء الخونة كضباط ارتباط لكسب الأهالي إلى جانبهم والعمل على إضفاء غطاء سياسي للاستعمار، مما يؤكد ضرورة استهداف هؤلاء بعمليات اغتيال ولو خلف خطوط العدو، وذلك لبث الرعب في صفوفهم ودفعهم لترك مهامهم القذرة.

– **الحرب الإعلامية**: إلى حدود الساعة كسب العراق الحرب الإعلامية، علما بأن قناة الجزيرة ساهمت في هذا النجاح بنصيب وافر. وقد تنبه الصليبيون لهذا الأمر وهم لا شك سيحاولون الضغط بشتى الوسائل على هذه القناة لتغيير خطها الإعلامي. ولذلك على القيادات العراقية أن توفر بدائل لهذه القناة باستعمال قنوات أخرى عربية وأجنبية متعاطفة أو محايدة (روسية – صينية الخ)، حتى لا تصاب القدرات الإعلامية العراقية في مقتل، خاصة إذا غيرت قناة الجزيرة مواقفها كما حدث خلال الحملة الصليبية على أفغانستان.

– **البيروقراطية**: كما تم ذكره آنفا فإن قيادة الجيوش في حرب المدن، لا بد أن تكون سلسة ومرنة تسمح بالكثير من الابتكار ابتداء من مستوى الكتيبة. وقد أحسن العراقيون بتقسيم البلاد إلى 4 مناطق تتمتع بكثير من الاستقلالية على مستوى القرار، ولا بد من الحفاظ على نفس الاستقلالية والزيادة من جرعاتها على الصعيد العسكري قدر الإمكان حتى يتم اقتناص كل الفرص السانحة. وقد أبدى هذه الملاحظة بعض المراقبين العسكريين الروس الذين رأوا أن بعض الخسائر في صفوف الجيش العراقي إنما حصلت نتيجة البيروقراطية.

• كما تم ذكره آنفا فإن قيادة الجيوش في حرب المدن، لا بد أن تكون سلسة ومرنة تسمح بالكثير من الابتكار ابتداء من مستوى الكتيبة..



الخاتمة

لا شك أن انتصار العراقيين لن يكون سهل المنال ولا سريع الحصول ولا قليل التكاليف.. بل سيكون طريقا شاقا يقام على كثبان من الأشلاء وأنهار من الدماء.. لكن إمكانية النصر كبيرة وكبيرة جدا.. وتحطيم طاغوت العصر يلوح في الأفق.. وهذا هو الأهم...♦

1 - "Mobilization of Iraqi Exiles Falls Short" *Los Angeles Times* (03/29/2003)

أية العدد - دعوة إلى التدبر

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة)

من مشكاة النبوة

عَـنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه أن رَسُولَ الله ﷺ قـال: "أَيُّهَـا الـنَّاسُ لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ" البخاري ومسلم

هل تعلم ؟

هل تعلم أن أهم الأمور التي تؤدي إلى إعطاء المعلومات للمحقق أربعة؟

❁ السـذاجة، هي وليدة محدودية التجربة الحياتية وقلة الخـبرة الحركـية، ممـا يجعل المعتقَل يقع في شراك المحقق ببساطة. بل ربما يجود بالمعلومات إحسانا للظن بالآخرين!!

❁ الجـبـن، لأن حالـة الخوف تفقد المرء القدرة على التماسك، مما يؤدي إلى ضعف التحكم في النفس، وبالتالي إعطاء المعلومات عند بوادر الإحساس بالخطر.

❁ الأنانـية، لأنها تجعل المرء يقدم مصلحته على مصلحة إخوانه، إذ تهمه نفسه أولاً، ثم بعد ذلك – إن شاء الله – مصـلحة الأمة، ومن ثم فهو لن يتورع كثيرا عن إعطاء المعلومات، لأنه يلاحظ مصلحته أولاً.

❁ قلة الصبر، لأنها تدفع إلى الرغبة في التخلص السريع من حالة الضغط، مما يؤدي إلى إعطاء المعلومات من أجل تحقيق "الراحة".

من كلام السلف

كـان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لا يمنع أحدكم سنه أن يشـير بـرأيه، فإن الرأي ليس على حداثة السن ولا على قدمه، ولكن أمر يضعه الله حيث يشاء...

أقوال بدون تعليق

❁ – ورد عـن "انتوني كوردسمان"، المسؤول السابق في "البنـتاغون": إن اللغـز الذي ربما يزيد الأمور تعقيدا أمام القـوات الأميركية والبريطانية هو مكان وجود فيلق كامل هـو الفـيلق الرابع من الجيش العراقي، والذي يتكون من الفـرقة العاشرة المدرعة والفرقتين 14 و18 للمشاة، والذي يتراوح عدد أفراده بين 25000 و30000 جندي وضابط..

❁ – كشـف مسـؤولون أميركـيون تفاصيل مثيرة عن لقـاءات سرية عقدها مسئولو استخبارات دول عربية مع مسـؤولين وعسكريين عراقيين في مناطق داخل بغداد من اجل إقناعهم بالانشقاق على النظام لكنها فشلت.

من شعر الحماسة

عهد على الأيام ألا تهزمـوا	النصر ينبت حيث يرويه الـدم
في حيث تعتبط الدماء فأيقنوا	أن سوف تحيوا بالدماء وتعظموا
تبغون الاستقلال تلك طريقه	ولقد أخذتم بالطريـق فيممـوا
وهو الجهـاد حمية جياشـة	ما إن تخاف من الردى أو تحجم
إن الخلـود لمن يطيق ميسـر	فليمض طيب الخلود ويقـدوا
وطـن يقسم للدخيل هديـة	فـعلام يحجم بعد هذا محجـم؟

سيد قطب

المقاومة العراقية
والفشل الذريع للمخطط الأمريكي

أبو أيمن الهلالي

بعد الفشل الذريع الذي جناه العدو "الصهيوصليبي" في كل من فلسطين المسلمة وأفغانستان الحرة، ومحاولة منه لاسترجاع غطرسته المجروحة بسبب انتفاضة الأقصى المباركة وغزوتي نيويورك وواشنطن، وإيجاد مخرج لمآزقه السياسية والإستراتيجية والاقتصادية، وتدارك ما عجز عن تحقيقه، التجأ إلى فتح الجبهة العراقية كنقطة انطلاق إلى فلسطين وأفغانستان وسائر البلاد العربية والإسلامية، مطبقا في ذلك – وبطريقته الخاصة – مقولة لنين: "خطوة إلى الوراء بغية تحقيق خطوتين إلى الأمام"، وبالموازاة تجديد مفعول سياسة الإرهاب والتخويف والتخدير التي انتهت صلاحيتها بعدما جربت الأمة مضادها الحيوي/عقيدة الجهاد والاستشهاد الذي أثبت الواقع والتجربة نجاعته وفاعليته.

وفي سبيل تحقيق هدفه المرحلي المتمثل في احتلال العراق مجانيا، استخدم العدو كل أسلحته الإعلامية والنفسية والأمنية والسياسية، والتي كان آخرها دعوة النظام العراقي إلى مغادرة البلاد عن طريق عملائه، ليتسنى لـه دخول/احتلال العراق، دخول الفاتحين الأبرار/الغزاة الأشرار ويتم استقباله بالورود والزغاريد.

لكن وكما يقول المثل: "تأتي الرياح بما لا تشتهيه السفن"، حيث أصيب بصدمة كبيرة غير متوقعة، وسقطت كل أحلامه دفعة واحدة خلال الأيام الأولى للعدوان، مما دفع بمنظري البيت الأسود ومخططي البنتاغون إلى مراجعة حساباتهم، لأن الأمر ليس نزهة كما كانوا يتوهمون.

إن العدو الصهيوصليبي في مأزق كبير لا يحسد عليه، وهو أمام خيارين أحلاهما مر بالنسبة لمستقبله السياسي والعسكري، إما أن يوقف الحرب ويعود سالما بجنوده أو يغرق في المستنقع العراقي/الأمة، لأن نتيجتهما واحدة وهي فقدان أمريكا لدورها العالمي ...

أولا – كيف نتعامل/نفهم مع الحرب على العراق:

إن من نعم الله ورحمته أن يسر للأمة الإسلامية السبل لمعرفة حقيقة عدوها، وطبيعة خططه ومشاريعه، وأيضا طريقة مواجهته وهزيمته بإذن الله سبحانه وتعالى، من خلال التجارب الواقعية الحية في كل من فلسطين وأفغانستان والعراق...، أي عن طريق الاحتكاك به والمواجهة المباشرة لـه، لكي تستيقظ من الغيبوبة التي

كانـــت تعيشـــها بسبب المسكنات والمخدرات التي تقدم لها صباح مساء في إعلام العدو وملحقاته في البلاد العربية والإسلامية.

إن الحرب على العراق تدخل في الحسابات السياسية والأمنية والاستراتيجية للعدو الصهيوصليبي، ومن مكره وتدبـــيره، وهذا لا يخرج عن سنة الله في الصراع بين الحق والباطل، بين المشروع الرباني والمشروع الشيطاني، لكـــن هذه الحقيقة يجب ألا تنسينا أو تبعدنا عن قدر الله ومكره وفاعليته المطلقة في هذا الكون مصداقا لقوله تعـــالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}(الإنسان:30)، وقوله: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال:30).

لـــذا فـــإن الحرب الدائرة حاليا في العراق وفي كل البلاد الإســـلامية، بين أعداء الله والأمة الإسلامية، تحمل في طياتها الخير الكثير إن فهمناها جيدا وأحسنا التعامل معها، فهي رغم مفاسدها الكبيرة والضخمة/القتل والتدمير والتشريد... تبقى ضـــئيلة أمام مصالحها العظيمة المتمثلة في وعي الأمة ونهوضها المستقبلي.

وللذين يعترضون على هذه الحقيقة نقول لهم: كم ضيعت الأمة من السنوات في الذل والهوان والموت البطيء؟ ألا يعتبر ذلـــك قتلا وتدميرا وتشريدا لها؟ بمعنى ألا يعتبر العيش في ظل قوانين الكفر والفساد وتحت إمرة المرتزقة الجبناء انتحارا؟ وما قـــيمة المســـلم في غياب هويته؟ وما معنى الإيمان بالله واليوم الآخر؟ ألا يعتبر الموت نتيجة حتمية وأنه بيد الله وحده؟ إذن لمـــا لا نخـــتار الطـــريق الذي نموت فيه؟ وما مبرر خوفنا من أمـــريكا؟ وألم تضع الأمة قدميها في الطريق الصحيح بسبب الحرب؟ وهل توجد مقارنة بين الحياة الفارغة والعيش لقضية عادلة؟ ألا يعتبر ذلك من مقدمات النصر والتحرير؟

• إن الحرب الدائرة حاليا في العراق وفي كل البلاد الإسلامية، بين أعداء الله والأمة الإسلامية، تحمل في طياتها الخير الكثير إن فهمناها جيدا وأحسنا التعامل معها، فهي رغم مفاسدها الكبيرة والضخمة/القتل والتدمير والتشريد... تبقى ضئيلة أمام مصالحها العظيمة المتمثلة في وعي الأمة ونهوضها المستقبلي..

إن الأمة والحمد لله بدأت تسترجع هويتها وتاريخها، وأصبحت تحس بطعم الحياة الحقيقية التي افتقدتها منذ زمـــن بعيد، حياة الاستقلال والحرية والكرامة، كما يجب عليها أن تبدل كل ما في وسعها لتستفيد أكثر من الحـــرب عـــلى العراق/الأمة، وعلى كافة المستويات لأنها مدرسة في التربية والتنظيم والسياسة والاستراتيجية

والإعــــلام...، أي بمعنى يجب أن تطور من بنيتها التنظيمية والسياسية والتربوية والعسكرية لتتلاءم مرحليا مع المعطيات المعاصرة بخصوص عدوها، وتنمي من قدراتها لكي تتفوق عليه مستقبلا إن شاء الله.

ثانيا- لماذا فشلت رهانات العدو:

لقد اعتمد العدو في حربه على العراق على تقارير استخباراته الغبية المبنية على المعارضة الخارجية العميلة، وطمع البعض/إيران في الحصــــول على فتات الغنيمة، والماضي السيء للنظام العراقي وتناقضــــاته مع جيرانه، والشعب المقهور بسبب نظامه والحصار الظـــالم الذي تعرض لــــه، وكذلك معارضته الداخلية في شمال العراق وجنوبه، فضلا عن ركوع النظام العربي الرسمي وتشجيعه لــــه، بــــل ومساعدته من خلال فتح الأراضي وتكبيل الشعوب والدعاية له وتقديم كل المعلومات الأمنية التي يحتاجها.

لكن أغفل في حساباته - جهلا أو تجاهلا - المتغيرات التالية:



• لقد اعتمد العدو في حربه عـــلى العــــراق، عـــلى تقاريـــر استخباراته الغبية المبنية على المعارضة الخارجية العميلة، وطمـــع الـــبعض/إيـــران في الحصول على فتات الغنيمة، والماضي السيء للنظام العراقي وتناقضـــاته مـــع جيرانـــه، والشعب المقهور بسبب نظامه والحصار الظالم الذي تعرض لـــه، وكذلـــك معارضـــته الداخلية في شمـــال العـــراق وجنوبه..

أ – دور العلماء:

إجماع العلماء الصادقين على تحريم التعاون مع العدو وردة من يفعل ذلك، فضلا عن الدعوة للجهاد ضده، مما قطع الطريق على بعض المتحمسين للتعاون مع العدو، وجعلهم في وضع حرج أمام الأمة، وبالموازاة دفعت بعض المترددين بسبب إيديولوجية النظام إلى مشاركة الشعب العراقي في حربه ضد العدو.

ب – دور الحركة الإسلامية:

دخــــول الحركات الجهادية في الخط بسبب تقاطع المصالح مع النظام العراقي، إضافة إلى أنها تدافع عن بلد إسلامي وشعب مسلم، وهذا معطى أساسي يؤثر على مسار الحرب.

ج – دور الشعب:

تسليح النظام للشعب ليدافع عن أرضه وعرضه ودينه، وهذا معطى جوهري في معادلة الحرب، والرقم الصعب الذي يؤثر على موازين القوى.

هذه العناصر الثلاثة (العلماء، الحركة الإسلامية، الشعب) من مفردات القوة الأساسية التي تملكها أمتنا الإسلامية لما لها من تأثير كبير في الحسابات السياسية والاستراتيجية والعسكرية، ودورها المحوري في معادلة/جوهر الصراع القائمة، وتغيير اتجاه موازين القوى، وتشكيل الخريطة السياسية العالمية منها والإقليمية والمحلية، وأن الذل والاستعباد والاستسلام الذي نعيشه ناتج عن استبعاد/تغييب لدور هذه العناصر الحيوية والاستراتيجية، وتحييدها من الساحة السياسية الفعلية، بل وتحويلها إلى أداة طيعة بيد النظام العميل/العدو الصهيوصليبي، يضرب بها كل من اختار طريق التوحيد والعزة والكرامة والحرية والعدل تحت عنوانه التمويهي/التقليدي البليد "محاربة الإرهاب".

• هذه العناصر الثلاثة (العلماء، الحركة الإسلامية، الشعب) من مفردات القوة الأساسية التي تملكها أمتنا الإسلامية لما لها من تأثير كبير في الحسابات السياسية والاستراتيجية والعسكرية، ودورها المحوري في معادلة/جوهر الصراع القائمة، وتغيير اتجاه موازين القوى، وتشكيل الخريطة السياسية العالمية منها والإقليمية والمحلية.

إن تمكن العدو من مقدرات أمتنا – وكما يعلم الجميع – ثم عن طريق تدجينه لطبقة العلماء والحركة الإسلامية، وجعلها ملحقة لمشروعه عن طريق الشعارات الزائفة المضللة "حقوق الإنسان/الفساد" و"نبذ العنف/الجهاد" و"احترام/عبادة الديمقراطية" و"عدم الخروج على الحاكم/العميل"...، ومن أدوات زينته، وديكور جميل لواجهته أمام الشعب، ووسيلته المثلى للارتزاق من أسياده الصهاينة والصليبيين.

فالشعب المسكين أصبح ضحية تخدير/تلبيس علماء السوء وجماعات ضرار، الذي من المفترض أن تكون وسيلته في التنوير والتحرير، وكذلك أسير تجهيل وتجويع النظام العميل، وأيضا لإرهابه وقهره..

ثالثا - المظاهر الأولية لهزيمة العدو:

إن العـــدو أخفق في تحقيق ما خطط لـــه، مما يعني أن تصوره لمجريات الحرب لم يكن صحيحا كما ادعى ويدعي في وسائل الإعلام، وأن تصريحات مسؤوليه من إظهار للقوة، والتصميم على مواصلة الحرب حتى إنجاز أهدافه الإجرامية، ليست سوى محاولة يائسة للرفع من معنويات جنوده، والتأثير على أمتنا الشجاعة التي خبرت أســـاليبه التضـــليلية، وهذه مجرد إرهاصات أولية لهزيمته المرتقبة أمام شعبنا/أمتنا العراقي البطل، ويمكن إجمال المظاهر الأولية لهزيمته في النقاط التالية:

- تـــبدد أحلامه بخصوص طبيعة الحرب، حيث كان يتوهم أنها ستكون نزهة قصيرة تنتهي في ساعات/أيام قلـــيلة، لكـــنه صدم بالمقاومة الشعبية الباسلة التي جعلته يفشل في احتلال الجنوب (الفاو، أم قصر، البصرة، الناصـــرية)، وكأن العراقيين كانوا على علم مسبق بخطته، وهذا يعني أن هناك اختراقا لصفوفه ومعرفة عميقة بطريقة تفكيره.

- تناقضـــاته المفضـــوحة بخصوص أسرى الحرب، ومطالبته للعراقيين باحترام "الشرعية الدولية" ولا سيما عندما تم إذاعة بعض صور الأسرى والقتلى على الفضائيات، مع العلم أنه أول من ضرب "الشرعية الدولية"، و لم يحصل على تفويض في حربه/عدوانه على العراق، إضافة إلى أنه أول من أذاع صور بعض العراقيين/المدنيين على شاشات التلفاز قائلا بأنهم استسلموا لقواته، ناهيك عن مشاهد "غوانتنامو".

- اكتشـــاف كذبـــه في الإعلام، حيث ادعى لمرات عديدة سقوط الفاو وأم قصر والناصرية، مما ضرب بمصداقيته "المضروبة أصلا" و لم يعد أهلا لأخذ أي خبر عن طريقه.

- تكـــبده لخســـائر كبيرة (القتلى، الأسرى، الطائرات...) وعددهـــا لحد الآن يفوق بكثير ما تعرض لـــه في حرب الخليج الثانـــية، وكذلك فيما يتعلق بالحرب النظيفة/القذرة والصواريخ الذكية/الغبية.

- دعوته لدول العالم بإغلاق السفارات العراقية.

- دفـــع النظام الأردني العميل إلى طرد ديبلوماسيين عراقيين لخلط الأوراق، وإعطاء/تشجيع المبرر لغيره لفعل مثل ذلك.

- الهســـتريا التي أصيب بها جعلته يستهدف المدنيين العزل، والمجزرة التي وقعت في سوق الشعلة نموذج لذلك.

• اكتشاف كذبه في الإعلام، حيث ادعى لمرات عديدة سقوط الفاو وأم قصر والناصرية، مما ضرب بمصداقيته "المضروبة أصلا" ولم يعد أهلا لأخذ أي خبر عن طريقه..



– استقالة ريشارد بيرل أحد كبار مستشاري الأمن القومي الأمريكي، ومن مهندسي العدوان على العراق، ورئيس لجنة السياسة الدفاعية.

– تهديد رامسفيلد لسوريا وإيران، الأولى بتزويدها للعراق بنظارات الرؤية الليلية، والثانية بدعمها للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية، ويعتبر ذلك في نظرنا "رسالة مشفرة" لهما ويعرفان جيدا معناه.

– نهب ثروات العراق من خلال استصدار قرار أممي بالإجماع بشأن برنامج النفط مقابل الغداء لتحقيق الأهداف التالية:

- الحصول على الشرعية الدولية/السياسية التي يفتقدها في عدوانه على العراق.
- حق التصرف في النفط من ناحية التسعيرة والكمية وحق التوزيع...
- تمويل عدوانه على العراق.
- عدم تطبيق اتفاقية "جنيف" التي تفرض على المحتل إعالة المواطن وتعمير البلد...، مما يعني عدم تحمل مسؤوليته في الدمار والتقتيل الذي يحدثه.

رابعا – دور الأمة في الحرب:

• المشاركة الفعالة في الحرب المستعرة ضد شعبنا العراقي من خلال التصدي – بشكل مدروس ومنظم – لمؤسسات العدو ومصالحه في منطقتنا العربية والإسلامية، وعلى وجه الخصوص الدول المجاورة للعراق، وكذلك حلفائه وملحقاته، وفتح جبهات جديدة ضده لاستنزافه اقتصاديا وسياسيا وأمنيا ونفسيا، وعدم تركه يلتقط أنفاسه..

يكمن في المشاركة الفعالة في الحرب المستعرة ضد شعبنا العراقي من خلال التصدي – بشكل مدروس ومنظم – لمؤسسات العدو ومصالحه في منطقتنا العربية والإسلامية، وعلى وجه الخصوص الدول المجاورة للعراق، وكذلك حلفائه وملحقاته، وفتح جبهات جديدة ضده لاستنزافه اقتصاديا وسياسيا وأمنيا ونفسيا، وعدم تركه يلتقط أنفاسه، لأنه يستهدف الهوية والتاريخ والجغرافيا...

كما يجب علينا ابتكار أساليب تمويهية/خداعية جديدة، سواء باختراق صفوفه والاقتراب المباشر منه، لحرمانه من الراحة والآمان وعدم الثقة حتى في أقرب المقربين له كما حصل له في الكويت من وسط

جنوده كما ادعى، وفي العراق لما تظاهر بعض المقاومين بالاستسلام له، وتفعيل سلاح العمليات الاستشهادية، وذلك بتحويل كل الأمة إلى قنابل عاقلة/ذكية تنتقي أهدافها بدقة، وهذا هو سلاحنا الاستراتيجي ضده، وعبره سيتم ترحيله مع بنته المذللة آل صهيون من بلادنا، وكذلك عملائه من الحكام المرتزقة.

وعليه، فإن العملية الاستشهادية التي نفذها مجاهدو حركة أنصار الإسلام ضد قوات المارينز والاتحاد الوطني في قاعدة عسكرية بالقرب من مدينة حلبجة يوم 2003/03/25، التي كبدت العدو خسائر هائلة من القتلى والجرحى، تعتبر نموذجا حيا لدور الأمة في الصراع، وكذلك العملية الاستشهادية التي قام بها أحد مجاهدي حركة الجهاد الإسلامي يوم 2003/03/30 ضد العدو الصهيوني، وأيضا العملية التي قام بها مجاهد من الكويت عندما داست شاحنته على عشرة جنود أمريكيين...

إذن لا مجال للخوف من المستقبل، لأن النصر إن شاء الله سيكون حليفنا والهزيمة من نصيب عدونا، فما علينا إلا أن نشمر على سواعدنا، ونهجر حياة الذل واللهو واللعب، ونجعل معركتنا مع العدو مفتوحة زمانا ومكانا.

خامسا - الخاتمة:

حاولنا في هذا المقال الإجابة على بعض التساؤلات المطروحة على أساس أن نستكمل الجوانب الغائبة في المعركة الدائرة التي يحاول العدو طمسها، كما سنوضح الدور المستقبلي للحركات الجهادية وموقعها الحقيقي في المشهد السياسي العالمي، والسياسة الصحيحة التي يجب نهجها، وكيفية إلحاق الهزيمة بالعدو الصهيوأمريكي، لأن ذلك ممكن ومتاح لا كما يروج المرتزقة الجبناء، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن ينصر أمتنا بما شاء وكيف شاء إنه سميع عليم.. ♦

• إذن لا مجال للخوف من المستقبل، لأن النصر إن شاء الله سيكون حليفنا والهزيمة من نصيب عدونا، فما علينا إلا أن نشمر على سواعدنا، ونهجر حياة الذل واللهو واللعب، ونجعل معركتنا مع العدو مفتوحة زمانا ومكانا..

ادخلوا عليهم الباب.. إنكم غالبون

أبو سعد العاملي

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، جعل في هذه الأمة طوائف قائمة على الحق، تذود عن دين الله وتحمي بيضته حتى تقوم الساعة، والصلاة والسلام على رسول الله، الذي بلّغ هذا الدين وتركنا على المحجة والطريق الواضح الذي يوصلنا إلى تحقيق عبودية الله في الأرض وإظهار دينه ولو كره الكافرون {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}، وبعد

فإنه مما لا شك فيه أن الحرب سجال، يوم لنا ويوم علينا، وهي سنة الله تعالى في التدافع بين الناس، بصرف النظر عن قرب هذا الطرف من الحق أو بعده عنه، لأن لله تعالى حكما كثيرة في صرف النصر وتعطيله عن فئة من البشر حتى وإن وفّرت شروط النصر كاملة، كما أنه سبحانه وتعالى قد يمنح النصر لأصحاب الباطل - لحين - ليبتلي أصحاب الحق وينظر ماذا يعملون، وهذه الهزيمة في حد ذاتها منحة في صورة محنة، يمنحها الله لعباده ليراجعوا أنفسهم ويصححوا مسارهم فيستحقوا مدد الله وعونه، ويحافظوا على النصر الذي أحرزوه.

أما مفهومنا الأعمق والأبعد والأصح للنصر والتمكين فلا يختص بالتمكين المادي على الأرض فحسب، بل يبدأ أولاً في النفوس، بالاستعلاء الإيماني ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران]، ويمر ثانياً عبر الثبات على المبادئ والاستقامة على النهج القويم التي نؤمن به ونسعى إلى تجسيده على الأرض ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾، ثم ثالثاً عبر جهاد متواصل وخالص لوجه الله تعالى، مهما كانت التضحيات والمحن التي سنلاقيها في الطريق ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[الحج]، وأخيراً وليس آخراً، عبر التمكين لدين الله تعالى وإعلاء كلمته وإظهار شرعه على كل الشرائع.

من أجل الوصول إلى تحقيق ذلكم النصر، لابد من تعبيد الطريق، طريق الدعوة والجهاد، بإزاحة الكثير من الحواجز - المادية والمعنوية على حد سواء -، ومن أكبر هذه الحواجز وأعظمها، حاجز الخوف والهيبة من العدو، الذي يعتبر في حقيقة الأمر خوفا من الموت وحرصا على الحياة، وقد عالجنا هذا الداء في مقال مستقل[1].

لقد وعدنا الله تعالى ورسوله ﷺ بالنصر على الأعداء، وبيّنوا لنا معالم الطريق الواجب اتباعها، كما بيّنوا لنا حقيقة هذا العدو، ومدى ضعفه وقزميته وعجزه عن مقاومة الحق فضلاً عن القضاء عليه ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾، ويبقى علينا واجب الاتباع والانصياع لأوامرهما.

ومن واجبنا أيضاً ترتيب الأعداء حسب أهميتهم وخطورتهم على الدعوة، حيث ينبغي أن نستفيد من التجارب السابقة لمن سبقنا من المؤمنين وهم يواجهون هؤلاء الأعداء، لكي لا نهدر طاقات في معارك هامشية

---

1 - انظر مقال "الوهن: أعراضه ودواءه" للكاتب - مجلة الأنصار - العدد 17.

أو مع أعداء من الدرجة الثانية أو الثالثة، فنعض الطرف عن رأس الكفر ورأس الحربة الذي يمد هؤلاء بعناصر البقاء والقوة.

• إن واجبنا اليوم – قبل الدخول في أي معركة مع العدو - هو تصنيف المراحل وترتيب الخصوم. وأرى أن التحالف الصليبي الصهيوني يمثل رأس هذه الحربة وتأتي بعده هذه الأنظمة المرتدة الجاثمة على رقاب المسلمين في بلداننا، وتليهم كل الأحزاب والطوائف الموالية لهما..

إن واجبنا اليوم – قبل الدخول في أي معركة مع العدو - هو تصنيف المراحل وترتيب الخصوم. وأرى أن التحالف الصليبي الصهيوني يمثل رأس هذه الحربة وتأتي بعده هذه الأنظمة المرتدة الجاثمة على رقاب المسلمين في بلداننا، وتليهم كل الأحزاب والطوائف الموالية لهما.

ونحن نرى كيف دخلوا علينا الأبواب من كل حدب وصوب، لكي يركّعوننا لإرادالهم ويفرضوا علينا دينهم ويمتصوا ثرواتنا ويفسدوا أبناءنا ونساءنا، ولا يتورعون عن إعلان ذلك جهاراً نهاراً، تحت غطاء محاربة "الإرهاب الإسلامي"، الذي يعني عندنا الجهاد في سبيل الله، إما دفاعاً عن أعراضنا وديننا وأموالنا أي جهاد الدفع، أو طلباً لهؤلاء الأعداء في عقر ديارهم لنشر الدعوة وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده وهو جهاد الطلب.

لقد رتبوا أولوياتهم في عملية الدخول هذه، واستهدفوا الطلائع المجاهدة في كل مكان، كما حاصروا العلماء العاملين وسجنوهم وقتلوهم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: 30)، وأنفقوا في سبيل ذلك ما لا يحصى من الإمكانيات المادية والبشرية، فكانت من أولى هذه الأولويات ما أسموه بتجفيف منابع الإرهاب خاصة على المستوى الاقتصادي حيث ضربوا كل المشاريع التي من شأنها أن تمول هذه الدعوة والجهاد المباركين. ولكن الله تعالى يبشرنا بأن كل ذلك سيذهب جفاء ولن يجنوا من ورائه سوى السراب ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36].

وثاني أولوياتهم هو تغيير مناهج التعليم والتربية في بلداننا، وهو تجفيف منابع الوعي والتفقه في الدين، حيث ينبغي فرض مناهج تعليمية وتربوية كفرية، لإبعاد أبنائنا عن النبع الأصيل، ونراهم يسخّرون في سبيل ذلك جنوداً من العلماء المنافقين والجماعات البدعية، لينشروا دين الطاغوت ويصدوا عن دين الله.

ومن أجل التصدي لهذا المخطط كان لزاما علينا أن نكون يقظين، ونسارع إلى الدخول عليهم في باب الدعوة، فقد والله كسدت بضاعتهم و لم يعد لها أي قيمة في الساحة، بعدما دخلت قوافل الدعاة الربانيين –

رغم قلتهم – فأبطلت سحرهم وأحبطت خططهم بالحجة والبيان وبالصدع بالحق في كل مقام، جهاد بالبيان كمـــا أمـــر ربنا جل وعلا ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾، ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل.

لقـــد رأيـــنا ثمار هذه الدعوة المباركة – رغم كيد الكائدين وحصار الطغاة الظالمين لهؤلاء الدعاة – ثمارا تتجـــلى في هـــذا الوعي العميق والحماسة الصاعدة في نفوس المسلمين، وخاصة في أوساط الشباب، وهانحن نـــراهم يلتفون ويلتحقون – أفراداً وجماعات – بهؤلاء العلماء العاملين، يستمدون منهم التوجيهات والفتاوى الراشدة لإحياء هذه الأمة من جديد، والدخول في معترك الصراع في مواجهة أهل الباطل تاركين وراءهم كل ملـــذات الدنيا ومتحررين من معوقاتها وقيودها، منهم من هاجر إلى مواقع المواجهة بعيداً عن ديارهم، ومنهم من أسس بنياناً داخل بلاده وبدأ يعمل لتقويض الباطل وبناء صرح الحق.

إن أهم سمة تتميز بها هذه الجموع المباركة، التي تواجه أهـــل الباطل في كل مكان، هي الإقدام ونبذ الخوف من العـــدو، ومـــيدان الدعوة لا يقل أهمية عن بقية ميادين الصراع الأخرى، بل إنه الميدان الأهم والمنطلق الأساسي لعملية الجهاد، إذ كيف يمكن البدء في عملية الجهاد بدون جنود وبدون إعداد وتربية، وهل ميدان الدعوة غير هذا وذاك؟!

إنـــنا مطالبون أكثر من أي وقت مضى، بالمضي قدماً في عملـــية الإقدام، واقتحام الصعاب وكسر كل القيود الوهمـــية والحقيقية، ولعلها بداية انقلاب صورة الصراع بيننا وبين أعدائنا، حيث سرنا في مواقع الهجوم والاقتحام بدلاً من مواقع الدفاع والتهيب، وسار العدو يحسب لنا ألف حساب، ويترقب ضرباتنا في كل حين، ولقد بدأت بحمد الله ولن تقف حتى تحقق أهدافها كاملة.

• إن أهم سمة تتميز بها هذه الجموع المباركة، التي تواجه أهل الباطل في كل مكان، هي الإقدام ونبذ الخوف من العدو، وميدان الدعوة لا يقل أهمية عن بقية ميادين الصراع الأخرى، بل إنه الميدان الأهم والمنطلق الأساسي لعملية الجهاد، إذ كيف يمكن البدء في عملية الجهاد بدون جنود وبدون إعداد وتربية، وهل ميدان الدعوة غير هذا وذاك؟!..

مـــا أكـــثر أبواب العدو، وما أسهل ولوجها إن نحن أحسنا اختيار الوسائل واختيار الرجال واختيار ساعة التنفيذ، وما أوهن جموع العدو وأضعف وسائل دفاعه إن نحن أدركنا هفواته وتناقضاته.

لقـــد دأب العدو على السيطرة علينا باللعب على الحرب النفسية أولاً، فيبدأ بزرع الوساوس والمثبطات في نفوسنا، فننهزم قبل بدء المعركة أصلاً، بل نترك مجال المعركة ونفتح له الأبواب دون مقاومة.

لقد كان ذلك قبل انطلاق شرارة الجهاد الإسلامي خلال العقدين السابقين، وبالتحديد منذ انطلاق الجهاد على أرض أفغانستان، حيث كانت بداية كسر هذه الحواجز النفسية، وكانت أول تجربة ناجحة لرد العدوان الكافر على أرض الإسلام، بالرغم من أنهم دخلوا علينا الباب لاحتلال الأرض والإنسان، فكان هذا الدخول بمثابة قوة الدفع للطلائع المجاهدة في كل مكان، وخير تجربة عاينها المجاهدون على أرض الواقع أعطوا فيها الدليل القاطع بأن دخول العدو علينا لا يعني بأنه سينتصر، بل قد تكون هزيمته في عقر دارنا أقسى مما كان سيلتقاها في أرض أخرى، ذلك أننا في عقر ديارنا نجر العدو إلى المهالك ونعلم كيف نقود المعركة ونتحكم في مجرياتها.

ذلك ما كان سيحصل في معركة أحد، حيث أشار الأنصار على رسول الله ﷺ أن يبقوا في المدينة ويتحصنوا بها، ليستقبلوا جنود الكفار فيها، ولكن الرأي الأرجح لأكثر المسلمين – خاصة المهاجرين – إلى الخروج وبعدما لبس الرسول وتجهز للحرب، حال دون تحقيق ذلك النصر المادي في عقر ديار المسلمين، وكانت هناك حِكماً أخرى وفوائد كبرى أعظم وأهم من النصر المادي نفسه بالرغم من الهزيمة التي نالها المسلمون في هذه المعركة.

• لقد تعلم المسلمون خلال تجربة أفغانستان ثم في البلقان وبلاد القوقاز، أن دخول الكفار عليهم في عقر ديارهم فيه الخير الكثير، حيث أظهر لهم حقيقة هذا العدو ومواطن ضعفه والمفاصل التي ينبغي التركيز عليها في المعارك القادمة. كما أن العدو ينقل لنا عتاده وسلاحه إلى أيدينا ويكفينا عناء البحث عنه والتنقل والنفقة في سبيل الحصول عليه...

لقد تعلم المسلمون خلال تجربة أفغانستان ثم في البلقان وبلاد القوقاز، أن دخول الكفار عليهم في عقر ديارهم فيه الخير الكثير، حيث أظهر لهم حقيقة هذا العدو ومواطن ضعفه والمفاصل التي ينبغي التركيز عليها في المعارك القادمة. كما أن العدو ينقل لنا عتاده وسلاحه إلى أيدينا ويكفينا عناء البحث عنه والتنقل والنفقة في سبيل الحصول عليه. كما أن هذا الدخول يدفع المسلمين إلى التفكير في الدخول على العدو، ورد الصاع صاعين أو أكثر. وقد كانت هذه قمة الدرس والاستفادة من المعارك التي سبقت، فسارعت قاعدة الجهاد إلى تنفيذ أمر رسول الله ﷺ "الآن نغزوهم ولا يغزوننا" وأمر الله تعالى ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فكانت تلك السرايا المباركة التي سبقت غزوتي واشنطن ونيويورك، بمثابة السرايا التي سبقت معركة بدر الكبرى في عهد رسول الله ﷺ، فجاء الدخول الأكبر من الباب الأوسع على رأس الكفر المتمثل في الغزوة سالفة الذكر، فبُهت الذي كفر، وتحقق

وعـــد الله تعالى للمسلمين بالنصر والغلبة ﴿فَإِنَّكُمْ غَالِبُون﴾ وهو توكيد وتأكيد من عند الله جل وعلا. ومن بـــين ثمار هذا النصر العظيم هو سقوط هيبة العدو في نفوس المسلمين وغير المسلمين، وتبين للناس أجمعين أن هـــذا العدو لا يساوي شيئاً حتى في الموازين المادية بالرغم من كثرة عتاده وسلاحه، وبأن الشعوب التي تمتلك الإرادة وتستعد للتضحية بإمكانها أن تقهر هذا العدو المتغطرس وتغلبه، فما بالك إذا كان هذا الشعب مسلماً ومتوكلاً على الله ومحققاً لشروط النصر من إعداد وتنظيم وانضباط؟!

• أن أمـــريكا وحلفاؤها لم يستوعبوا بعد الدرس الذي لقنهم إياه الشيخ أسامة بن لادن حفظـــه الله، ولا أظـــن أنهم سيفهموه قبل السقوط التام والانهيار الكامل...

إن ما يحصل اليوم على أرض العراق من مقاومة شعبية للعدوان الصـــليبي الـــذي تقوده أمريكا وبريطانيا، لهو ثمرة من ثمار غزوة نـــيويورك وواشنطن، وبركة من بركات الجهاد الذي يقوده تنظيم قاعدة الجهاد وبقية الجماعات المجاهدة في كل مكان.

وهـــو إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن أمريكا وحلفاؤها لم يستوعبوا بعد الدرس الذي لقنهم إياه الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، ولا أظـــن أنهم سيفهموه قبل السقوط التام والانهيار الكامل، فقـــد أعمى بصرهم وبصيرتهم، وهاهم أولاء يقودون جنودهم إلى غـــرق محـــتوم وأكيد، ليس على أرض العراق فحسب بل في كل المواقع التي دخلوا فيها. إنهم يقودون أنفسهم وجنودهم وأولياءهم إلى المصـــير الذي قاد فيه فرعون جنده، والتاريخ يعيد نفسه، وإني أرى أن ساعة الحسم قد اقتربت، ووعد الله لعباده ووعيده لأعدائه على الأبواب، فلا نتريث في اقتحام الأبواب على هذا العدو المتهور المغرور.

ولنضـــع نصب أعيننا أن نصر الله آت لا محالة، وبأن الغلبة لعباده المؤمنين، مهما بدا لنا العدو قوياً وجباراً، فـــلا يلبـــث أن يظهر على حقيقته في ساحات المعارك، وحقيقته أنه ضعيف وجبان، يستمد قوته من ضعفنا وتهيبـــنا وهيبتنا منه، ولكن حينما يجد أمامه من لا يخاف إلا الله ويسارع إلى الشهادة، فإنه يتحول إلى أرنب ويبدأ في عملية التراجع للخروج من المأزق الذي سقط فيه، وغالباً ما يكون هذا بفتح معارك وجبهات جديدة ليستنزف نفسه أكثر، ويخرب بيته بيده وبأيدي المؤمنين.

نســـأل الله سبحانه أن يجعلنا أداة لتنفيذ وعده، ويرزقنا قوة الدفع وحسن التوكل عليه لنقتحم على عدونا أبوابـــه، فننصر دينه ونعلي رايته، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.. ◆